١٢ـ سـلام كامـب ديفيـد

«الاعتـراض علـى هـذه الخيانة للعالـم العربى ! » ـ «باسـتثناء بعض التفاصيل، كل شـىء تـم تسـويته!» ـ السياسـة الجديدة للقاهـرة ـ «قريبًا لن يسـاند أحد مصـر» ـ المفاوضات الإسـرائيلية المصريـة تتعقـد ـ مولد حركـة «السـلام الآن» ـ كارتر يحاول القيـام بتحرك الفرصـة الأخيـرة ـ الحياة اليومية فى كامـب ديفيد ـ شـخصيات المتفاوضين ـ «وايزمان لا يمكن أن يكون يهوديًا، إنه شـقيقى الأصغر!» ـ تباين حاسـم بين بيجين ودايان ـ «بدأنا نشـعر وكأننا فى معسـكر اعتقال!» ـ السـادات يعلن مغادرة وفده ـ المفاوضات من زاوية نفسـية ـ «لماذا تراجعت؟ إنك لم تعد عند موقفك فى البداية! ـ توقيع اتفاقيات السـلام ـ خيبة أمل فى الرباط ـ جدال مرير فى إسـرائيل ـ تفكيك مروع لمسـتوطنة ـ أى حكم ذاتى للفلسطينيين ـ خيار «غزة أولاً» ـ إعادة بناء المستوطنات ـ «مفاوضات الحكم الذاتى» ـ «نوبل لبيجين؟ ولكن كيف، إنه يسـتحق الأوسـكار..» ـ «لقد تخليت عن الفلسـطينيين!» ـ جدال فى مجلس الشـعب ـ مقاطعة عربية، ولكن مسـاندة مالية أمريكية ـ ثوابت اليمين فى الحكومة الإسرائيلية الجديدة ـ اغتيال السادات ـ السلام الهش ـ السلام البارد ـ ناصر والسادات، رؤيتان للعالم العربى.

أندريه فيرساى: كيف كان شعور العرب إزاء رحلة السادات إلى القدس وخطابه فيها؟

بطـرس بطرس غالـى: لقد أدانت الدول العربيـة ومنظمة التحرير رحلة السـادات، وقام كل من الأسـد وعرفات بتوجيه نداء إلى الشعب المصرى لكى «*يعارض هذه الخيانة للعالم العربـى*»؟ لـم يجر تعليق علـى الخطاب نفسـه؛ ولكن أصابت هـذه الرحلة العالـم العربى بصدمـة. لـم يكن الاهتمام بفحـوى الخطاب، ولكـن المهم هو أن الرئيس السـادات ذهب إلى العدو، والأنكى من ذلك إلى القدس. وعلى الفور، اعتبرت هذه الرحلة كمقدمة لسلام منفصل: «*ها هى مصر تتخلى عن العالم العربى!*».

شـيمون بيريز: لسـت متأكدًا أن التأثير كان بهذا الشـكل السلبى الذى تشـير إليه. فقد تم نقـل الخطاب مباشـرة وبالكامل على جميع موجـات العالم العربى، وكان لـه تأثير إيجابى حقيقـى على الشـعوب. لقد كان لـى فرصة متابعة هذا التأثير بنفسـى فيما بعد، عندما ذهبت إلى المغرب: هناك، وبينما كنت أجلس فى إحدى مقاهى الرباط، رأيت نحو عشرة مواطنين مغاربـة يتوجهون نحوى، فقد تعرفوا علىّ بعد مشـاهدتى على شاشـات التليفزيون. وأؤكد لك، أن سلوكهم معى لم يشوبه أى عدوانية، بل على العكس، كانوا راغبين ومهتمين بلقائى، إلى حد أن بعضهم صفق لى.

أعتقد أن علينا التمييز ما بين الخطاب الرسـمى الذى يدين مبادرة السـادات، والحركات التلقائية للشعب التى وجدت فيها وعودًا بالسلام.

بطـرس بطـرس غالـى: لا أريد أن أدخـل فى جدال، ولكنـى بصراحة، لا أعتقـد أنه كان هناك فى هذه اللحظة، فى العالم العربى، حركة واحدة مهمة تؤيد السلام. إننى أريد فعلا أن أصدق أن المغاربة كانوا سـعداء بمقابلة شـخصية إسرائيلية مشهورة. إن ذلك واضح. تقول إنهـم صفقـوا؟ ولكنهم صفقوا لك، لأنك جئت إلى الرباط. وذلك ليس له علاقة بأى حركة من أجل السلام.

أعتقـد أنـه يجب علينا التمييز بين الأشـياء. فباسـتثناء أقلية صغيرة جـدًّا، كان كل العالم العربى مصدوما بهذه الزيارة، فقد شـعر الجميع بالخيانة. لقد سـمعت خلال مؤتمر صحفى مـن يقول: «*ولكن فـى النهاية، مصر هى أم العالم العربى، وها هـى تترك أبناءها من أجل أن تعيـش مغامرة مع رجل غريب!*» فى الحقيقة، فى تلـك اللحظة، العالم العربى لم يكن مهيئًا لبدء عملية سلام. فقط أبناء وطنى كانوا مستعدين لذلك. ولكن مرة أخرى، ليس الجميع.

أندريه فيرساى: لنعد إذن إلى مصر: عاد الوفد إلى القاهرة، كيف تم استقباله؟

بطـرس بطـرس غالى: كانت مصـر تعيش فى فرح، واعتبر السـادات بطلاً، لأن السـلام أعلن ونتائجه ستؤدى إلى تحقيق الاستقرار والتنمية والرفاهية فى مصر.

ومع ذلك، فإن جزءًا من الشعب بقى معارضا بشدة للرحلة. هذه المعارضة ضمت – فى نفس الوقت – الأصوليين الذين لا يريدون قبول فكرة وجود دولة يهودية على أرض عربية، والناصريين، الذين رأوا أن السـادات بهذا التحرك الذى قام به تجاه إسرائيل، قد قطع الصلة مع سياسـة سـلفه، وأخيرا الشـيوعيين، لأن الاتحاد السـوفيتى لم يشـارك فى هذه المبادرة. ولكـن الأصوليـين والناصريين والشـيوعيين، كانوا «حلفاء غاية» من أجل المناسـبة، كانـوا

هم النشطاء الأكثر تحركًا والأكثر ضوضاءً. وهم الذين نسمع ونقرأ لهم فى معظم الأحيان. ثم كانت هناك تصريحات الحكومات العربية التى تمسكت برفضها، نسمعها فى الإذاعات وعلى شاشات التليفزيون.

بجانب من اعتبروا السادات خائنًا، آخرون أكدوا لنا أن هذا التحرك لن يؤدى إلى شىء. حتى نحن، الذين رافقناه فى رحلته، لم نكن واثقين تمامًا بأن الخطوة الأولى هذه تسير فى الاتجاه الصحيح. وخصوصًا وأننا وجدنا أنفسنا أمام رئيس يعلن لنا بكل ثقة أنه «*تم حل كل شىء*» ، وأنه لم يتبق إلا مناقشة بعض النقاط التفصيلية. من الواضح أنه لم يكن مدركا لحجم المشكلات الفنية والعسكرية وغيرها التى كان ينبغى حلها من أجل التوصل إلى السلام.

شيمون بيريز: السادات لم يكن أبدا تكنوقراطيّا، ولم يكن بيروقراطيّا. لقد كان رجلاً ذا رؤية، ينتقل بسهولة مذهلة من رؤية سياسية إلى أخرى. أراد أن يظل مترفعا عن الأمور الجارية، وأن يحتفظ بنقاء الذهن حتى يستطيع التفكير فى القرارات الكبرى التى كان يتخذها وحده، وصياغة مقترحات، بالتأكيد، لم يفكر فيها الآخرون، كما كان لا يترك فرصة لمفاجأة المحيطين به. هذا الترفع عن المسائل اليومية الملموسة نلاحظها فى الطريقة التى كان يتصرف بها. فهو لا يقرأ كثيرًا الصحف، وعلاقته مع السياسيين المحيطين به كانت إلى حد ما فضفاضة: كان يذهب للتريض مع بعض مستشاريه الذين يترك لهم مسئولية الشئون العامة، والذين كانوا يقدمون له التقارير عن أعمالهم. هكذا، حدد بوضوح الأدوار بينه وبين نائبه حسنى مبارك: مبارك مسئول عن الأمور الجارية، بينما هو ينظر إلى الأشياء فى صورتها الكبيرة ويأخذ القرارات التى يرى أنها أساسية لمستقبل البلاد.

بطرس بطرس غالى: لك أن تتخيل، كيف أن ذلك لم يسهل عمل طاقمه.

عند عودتنا إلى القاهرة، اقترحت على الرئيس أن يرسل وفودًا إلى مختلف العواصم العربية من أجل شرح وجهة نظرنا، ولكنه اعترض على الاقتراح. وطوال فترة المفاوضات، كان السادات يرفض إعطاء أية تفسيرات إلى الدول العربية. ما السبب، لا أعرف. ربما تصور أن التقرب من بعض الدول العربية قد يعقد المباحثات التى بدأت بصعوبة جدا. أو ربما كانت طريقته لكى يظهر لإسرائيل كم يكلفه تحركه هذا نحو السلام؛ لقد كان يريد أن يؤكد للإسرائيليين الذين يزعمون أن كل التنازلات تأتى منهم، حجم التضحية التى رضت مصر أن تقوم بها، بما إنها باتت معزولة.

شيمون بيريز: ربما لم يكن فى ذهن السادات أى نوايا مبيتة، وكان يقدر فقط أن مصر قد ضحت بما فيه الكفاية من أجل «القضية العربية»، بينما فى النهاية، لم يساعدها العالم العربى كثيرًا.

يجب أن نذكر أن فى حرب ١٩٤٨م، رأى عدد من كبار المسئولين المصريين ضرورة ألا تشارك مصر فى الهجوم العربى ضدنا. كان ذلك هو رأى رئيس الوزراء إسماعيل صدقى. والحق يقال إن الحملة الفلسطينية التى قامت بها مصر، كلفت القاهرة كثيرا من الناحية البشرية وأيضًا من الناحية الاقتصادية والمالية والعسكرية. ورغم ذلك فإن العالم العربى لم يعترف حقيقة بالدور الأساسى الذى لعبته مصر فى هذه الحرب من أجل فلسطين.

ومع ذلك، فإن تحالف مصر مع دمشق لم يمنع علاقتهما من أن تظل، أقل ما يقال عنها، إنها غامضة، حيث إن العاصمتين ظلتا متنافستين، ولقد رأينا ماذا حدث فى محاولة الوحدة.

أعتقد أن السادات قدر أن مصر، فى متابعتها سياسة العالم العربى العامة، دفعت ثمنا أعلى بكثير بجميع المقاييس، وأنه أراد أن يمنح بلده قوتها ومكانتها الأصلية على الساحة الدولية عن طريق تطوير سياسة تكون مصرية أكثر منها عربية.

أندريه فيرساى: من بين الأسباب التى دفعت السادات إلى البحث عن سلام مع إسرائيل، يمكن أن نذكر أيضًا الوضع الاقتصادى فى مصر فى عام ١٩٧٧م، والذى لم يكن مبهرا.

بطرس بطرس غالى: كان الانفجار السكانى هو السبب فى توقف الاقتصاد المصرى عن النمو منذ عدة سنوات. ولكن صحيح، لقد شهدنا مظاهرات ضخمة ضد ارتفاع الأسعار فى يناير عام ١٩٧٧م. هل أثارت هذه الحركات الشعبية قلق النظام، وهل دفعت السادات لكى يحاول إيجاد حل وسط مع إسرائيل من أجل تخفيف الميزانية العسكرية وإعطاء الاقتصاد دفعة؟ قد يكون ذلك أحد العوامل التى نستطيع أخذها فى الاعتبار، لأن حرب أكتوبر فى النهاية لم تؤد إلى تقدم فى الاقتصاد المصرى، ومنذ أربع سنوات يقف الوضع السياسى الإسرائيلى المصرى محلك سر. أعتقد أن هذا الجمود الذى لا يصدق، هو الذى دفع السادات إلى البحث عن مبادرة قوية قادرة على أن تدفع الأمور إلى الأمام، ليس «بخطوات صغيرة» ولكن بخطوات عملاقة، ولذلك أطلق هذه الفكرة الباهرة التى هى بحجم شخصيته صاحبة الرؤية.

كان دورى، كحلقة اتصال، أن أشرح تحركنا هذا إلى الحكومات الأجنبية، العربية والإفريقية والأوروبية والآسيوية. كان علينا أن نكون واضحين تماما أمام الدول الصديقة مثلما كان يجب أن نكون أيضا أمام الدول المعادية. لذا، بدأت فور عودتنا فى تنظيم سلسلة من اللقاءات مع المجتمع الدبلوماسى الذى قسمته إلى مجموعات جغرافية: الدول الإفريقية، الدول العربية، دول أوروبا الغربية، دول الكتلة السوفيتية، الدول الآسيوية، إلخ.

يجب أن أقول إن الأمور سارت جيدًا فى مجمل هذه اللقاءات. واهتم الدبلوماسيون بها اهتماما حقيقيا؛ ففى النهاية، كنا نحاول إطلاق عملية سلام، إن نجحت، فسوف تعم فوائدها الجميع.

أندريه فيرساى: بلا شك، ولكن فى هذا الوقت، أبدى عدد قليل من الدول استعداده لمساندة مصر؛ فبالإضافة إلى الدول العربية ودول عدم الانحياز، وقف العديد من دول أوروبا الغربية ضد مبادرة السادات. وبشكل خاص فرنسا: الرئيس جيسكار ديستان أظهر برودة شديدة.

بطرس بطرس غالى: حقيقى، فقد كانت فرنسا، مثل سائر دول أوروبا الغربية، ضد هذه المبادرة التى عملت على تهميش دور أوروبا. ولأننا شرعنا فى العملية بدون الأوروبيين أو السوفييت، الذين لم يتم حتى إبلاغهم بها، فقد شعروا باستياء شديد وتعاملوا مع مبادرة السادات ببرود شديد. ولكن المسألة لم تكن تتعلق فقط بالكرامة الدبلوماسية، إذ كان الشعور السائد بشكل شبه جماعى، هو أنها مغامرة بلا مستقبل. وهذا التشكك تناقض مع الصدى العالمى الشعبى الذى أثارته مبادرة الرئيس المصرى، فيمكن القول إن التقليل من الأحداث التاريخية أثار مثل هذا الاهتمام، ومثل هذا الحماس فى أنحاء الكون.

فى البداية، حتى الأمريكيون لم يقدموا مساندتهم الكاملة لنا. فخصومنا أبدوا تصميما متزايدا، وحلفاؤنا فقدوا هذا التصميم تدريجيا. وبسرعة، بدأت السفارات تبتعد عن مصر: الدول العربية والدول الإسلامية، والدول الشيوعية، والأوروبيون والأفارقة.. باختصار، بعد مضى وقت قصير لم تجد مصر أحدًا يساندها فى مبادرتها.

ورغم ذلك، لم يبد السادات أى قلق. وكان يقول لى دائما: «*لا تخف، يا بطرس، ودع لديك ثقة!*».

حتى دول عدم الانحياز، مثل يوجوسلافيا، ابتعدت عنا. عندما التقيت مع تيتو، رئيس حركة عدم الانحياز، فى بلجراد فى يناير عام ١٩٧٨م، قال لى إنه على ثقة تامة بأن إسرائيل

ليس لديها أية نية فى التوصل إلى اتفاق سلام شامل مع العرب، حيث إنها ترفض الاعتراف بالشعب الفلسطينى وبحقه فى تقرير المصير. كان تيتو يرى أن المقدمة الأساسية لأى عملية سلام هى الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وصرح لى قائلاً: إن إسرائيل، فى حقيقة الأمر، لا تسعى إلا إلى إضعاف الجانب العربى عن طريق التوصل إلى سلام منفصل مع عدوها الأقوى. إن إسرائيل تملك التفوق العسكرى، وتساندها واشنطن، وتحتل جزءًا من مصر، والسادات يقدم لها الآن الفرصة لكى تعمل على تعميق الانقسام بين العرب.. وأضاف قائلا: «*سوف تعزلون أنفسكم عن العالم العربى ولن تحصلوا على شىء من الإسرائيليين لأنكم ستكونون فى موقف ضعف. ولن تستطيعوا أن تتفاوضوا معهم إلا من موقف قوة*». لذا بدا مشروع السادات الذى قسم العالم العربى (والذى سيضر، على المدى القصير، بجبهة دول عدم الانحياز) خطيرًا على مستويين.

كانت رؤية تيتو تسترشد بأيديولوجية العالم الثالث للدول المستعمرة: هذه الأيديولوجية التى تؤمن أن القوة فقط هى التى تستطيع تحريك الشعوب ضد الدول الاستعمارية. ولكن السادات كان فى صف السياسة الواقعية، وتخلى عن أية رؤية أيديولوجية للصراع الذى أراد أن يجد له حلاً بطريقة عملية. لقد حاولت كثيرًا إقناع تيتو بأهمية مبادرة القاهرة، ولكن بلا جدوى.

أعترف أن هذه المناقشة مع الزعيم اليوجوسلافى التى استمرت ما يقرب من ساعتين، أثارت اضطرابى. وماذا إن كان على حق .. ونحن نسير فى الطريق الخطأ؟ مهما كان الأمر، بدا لى واضحًا أن مصر كانت على وشك أن تعزل نفسها، ليس فقط عن المعسكر العربى، ولكن أيضًا عن معسكر عدم الانحياز.

أندريه فيرساى: لأن السادات سيواصل الحركة..؟

بطرس بطرس غالى: نعم، فقد قرر السادات أن ينظم اجتماعًا «غير رسمى» فى القاهرة من أجل الإعداد لاستئناف مؤتمر جنيف لعام ١٩٧٣م والذى مازال أحد أهداف الدبلوماسية المصرية. فى الحقيقة، عقد مؤتمر جنيف حول الشرق الأوسط قبل أربع سنوات فى ٢١ ديسمبر عام ١٩٧٣م، تحت رعاية سكرتير عام الأمم المتحدة وتحت الرئاسة المشتركة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. ولم ينعقد مرة أخرى منذ ذلك الحين، ولكنه ظل رمزا لمشروع التسوية الشامل.

لذلك وجهت فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٧٧م رسالة إلى كل من سوريا والأردن ولبنان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والأمم المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية

وإسـرائيل (نفـس الرسـالة للجميع)، أقتـرح عليهم عقـد مؤتمر فـى القاهـرة للتمهيد لقمة جنيف. شـرحت فى هذه الرسـالة أننا المصريون، نعتبر دائما حل مشـكلة الفلسـطينيين هى الهـدف الرئيسـى للمفاوضـات التى نقـوم بها، وأننا نناضـل من أجل حل شـامل وليس من أجـل سـلام منفرد. عقد المؤتمر التمهيدى أخيرًا فى ١٤ ديسـمبر، وضـم أربعة وفود: مصر والولايـات المتحـدة وإسـرائيل والأمم المتحـدة. ورفضت كل من سـوريا والأردن ولبنان والاتحاد السوفيتى ومنظمة التحرير المشاركة فيه.

لقـد قدرت فى هذا الوقت، أنهم برفضهم المشـاركة فى هذا المؤتمـر التمهيدى، أضاع الفلسـطينيون فرصـة تاريخيـة لإقامـة اتصالات، حتـى ولو غير مباشـرة، مع الإسـرائيليين. ولكن، بالنظر إلى هذه الفترة بعد مرور الوقت، يجب أن أعترف أنه لو كان الفلسـطينيون قد قبلوا، فإن الإسرائيليين هم الذين كانوا سيرفضون المشاركة فيه.

أندريه فيرساى: إن كان رفض الشركاء العرب الأربعة مفهوما، فما تفسير رفض الاتحاد السوفيتى؟

بطرس بطرس غالى: أنكرت موسـكو شرعية هذا المؤتمر، لأنها ترى أن رئاسة مثل هذا المؤتمـر تتمثـل فى الاتحاد السـوفيتى والولايات المتحـدة فقط، فهما اللـذان يملكان حق طلب انعقاد هذا المؤتمر. وحاولت لفت نظر السـفير السـوفيتى إلى أنه مؤتمر غير رسـمى. ولكن هيهات.

وهكـذا قرر السـادات، ردًا على المقاطعـة العربية، قطع العلاقات الدبلوماسـية مع عدد من الدول.

بالنسـبة لى شـخصيّا، لقد حاربت من أجل الحفاظ على مكانة القاهرة المهيمنة فى قلب حركة عدم الانحياز، ولكنى أدركت أن السـادات لم يكن يشـاركنى قلقى.. كنت أخشـى أن يترك السـادات حركة عدم الانحياز التى كان يرى أنهـا فى أيدى متطرفين يتحالفون إلى حد ما مع الاتحاد السـوفيتى، حتى ولو لم تُدن الحركة مصر. كل شـىء سار وكأن السادات أراد أن تنقلب مصر على كل تحالفاتها السابقة.

أندريـه فيرسـاى: بعـد اجتماع القاهرة، نظم السـادات اجتمـاع قمة إسـرائيلى عربى فى الإسـماعيلية يومى ٢٥ و٢٦ ديسـمبر. اشـترك فى هـذا الاجتماع كل من السـادات وبيجين ودايان ووايزمان ووزير الدفاع المصرى، الجمسى، وأنت، بطرس بطرس غالى. ماذا كانت نتائج الاجتماع؟ تحدث الجمسى عن «*فشل كامل!*».

بطـرس بطـرس غالى: مؤتمر الإسـماعيلية لم يعط، فى الواقع، النتائـج المرجوة. يجب القول أنه نظم بشـكل سيئ للغاية وكانت المفاوضات تجرى بشكل غير منظم. ورغم ذلك، حرص السادات وبيجين فى نهاية الاجتماع على إقامة مؤتمر صحفى مشترك لكى يظهرا أن العملية متواصلة. تقرر فى الاجتماع إنشاء لجنتين: واحدة عسكرية معنية بمسألة الانسحاب الإسرائيلى من سيناء، والأخرى سياسية تهدف إلى دراسة كافة المشاكل العربية الإسرائيلية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

لقد سمحت لى قمة الإسماعيلية أن أفهم بشكل أفضل نفسية الرئيس المصرى. واكتشفت أنـه يتفـاوض معنا نحن أعضاء فريقه، بنفـس القدر، بل أكثر مما يتفاوض مع الإسـرائيليين. وكأنه أراد أن يقوم فى نفس الوقت بتحبيذ الخلافات التى كانت تفصلنا عنه والسيطرة عليها. أعتقد أن تفاقم الخلافات تلك سـمحت له بأن يظهر للإسـرائيليين بأنه يواجه مقاومة، ليس فقط داخل العالم العربى بأسره، ولكن أيضا داخل فريقه الخاص.

وفـى الإسـماعيلية أيضـا، استشـعرت أن الإسـرائيليين لا ينوون التوصل إلا إلى سـلام منفصل. وهو ما أكد عليه إصرار بيجين على تفضيل العلاقات الثنائية، ورفض اشتراك الأمم المتحدة، وحتى خفض مشاركة الولايات المتحدة إلى أقل نسبة ممكنة.

من جهة أخرى، ومع مرور الوقت، وضح لنا تدريجيًا أن الهم الأساسى الذى كان يشغل الرئيس المصرى كان استعادة كافة الأراضى المصرية، أما القضايا الأخرى فقد بدا أن هناك إمكانية لترحيلها إلى وقت لاحق، بما فيها قضية السـيادة الفلسـطينية التى كنا، نحن ضباطه، متمسـكين بها بشـدة. لم يتملص السـادات من الفلسـطينيين، ولكنه ظل مقتنعًا أن مصر لن تسـتطيع العمل بفاعلية لكسـب حقوقهـم، إلا إذا تخلصـت أولاً من الاحتلال الإسـرائيلى لسيناء.

أما بالنسبة لى، فقد كنت مقتنعًا بأن أى سلام لن يكون دائما إلا إذا سعينا فى نفس الوقت، بتسوية المسألة الوطنية الفلسطينية.

أندريه فيرسـاى: كان الفلسطينيون مستثارين ضد السادات بصورة عميقة. فى ١٨ فبراير عـام ١٩٧٨م، فى قبرص، اغتال الإرهابيون الفلسـطينيون يوسـف السـباعى، رئيس تحرير الجريدة اليومية الكبرى *الأهرام*. كان السـباعى من المقربين للسادات ورافقه فى رحلته إلى القدس. غضب السادات بشدة، واتهم منظمة التحرير الفلسطينية بارتكابها.

بطـرس بطـرس غالى: صدم المصريون بشـدة. فلم تخـدم عملية الاغتيـال تلك القضية الفلسـطينية لدى الشعب وأثارت أزمة عميقة بين مصر ومنظمة التحرير. وفى جنازة يوسف السـباعى خرجت مظاهرات كبيرة ضد الفلسـطينيين: «*لا فلسطين بعد اليوم!*».. هكذا صاح المتظاهرون غاضبين لرؤية مصر تصبح هدفًا للإرهاب الفلسطينى.

أندريـه فيرسـاى: تواصلـت المفاوضـات الإسـرائيلية – المصريـة، ولكن رغـم تفاؤل السادات، ظهر بسرعة أن مواقف كل من القدس والقاهرة متنافرة. ليس فقط بالنسبة للقضية الوطنية الفلسـطينية بل أيضا بالنسبة لاسـتعادة سيناء. يبدو أن التصلب الإسرائيلى أدى على الجانب العربى، إلى إبعاد عدد من الزعماء العرب المعتدلين، مثل: الملك حسـين والملك فهد ملك السعودية، من عملية السلام.

بطرس بطرس غالى: نعم، فى نفس الوقت، أدى تتابع الفشل فى المفاوضات إلى إعطاء العالـم العربـى الأمل فى أن تعـدل مصر فى النهاية عـن مبادرتها. وظلت فكـرة عودة الابن الضـال تـراود العالم العربى طـوال الفترة من نوفمبـر ١٩٧٧م إلى سـبتمبر ١٩٧٨م، تاريخ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد.

أندريـه فيرسـاى: ومن الجانب الإسـرائيلى، بدأت تعلو الأصوات لصالح السـلام؛ عبَّر قطاع متزايد من الشـعب، عن معارضته لموقف بيجين الذى رأوه متشددًا. هذا التشدد واجه انتقادات داخل الحكومة نفسها، ومن عيزرا وايزمان.

شـهدت تلك الفترة مولد *شـالوم آرشـاف*، «السلام الآن». تأسسـت تلك الحركة يوم ٧ مـارس عـام ١٩٧٨م، بعـد أن قـام ٣٤٨ ضابطًا وجندى احتياطى بنشـر رسـالة مفتوحة إلى بيجيـن أعربوا فيها عن احتجاجهم على سياسـاته. وبسـرعة اتخذت الحركـة أبعادًا خطيرة، حيث إنها بعد عدة أيام، فى أول أبريل، بدأ أول تجمع شـعبى نظمته «السـلام الآن» نحو ٤٠ ألف متظاهر، وهو ما جعل منها أكبر مظاهرة سياسية تشهدها إسرائيل حتى ذلك الحين.

هـذه الرسـالة المفتوحة والحركة التى اقترنـت بها، هل عرف عنهـا المصريون والعرب بشكل عام، شيئا؟

بطرس بطرس غالى: كانت النخب فى مصر بشكل أساسى هى التى تعرف تلك الرسالة والحركـة اللتيـن دعمتا موقف المفاوضيـن المصريين لدى الطبقة السياسـية. ولكن إن كان الـرأى العـام المصـرى قد تابـع التطـورات الإسـرائيلية وحركـة «السـلام الآن»، إلا أنه لم يعرهـا أهمية كبيرة؛ فقد كان الرأى العام المصرى مشـغولاً أكثر برفض العرب ومعارضتهم

لمصـر، والنتائـج المحتملة لذلك على المصريين الذين يعملون فـى الدول العربية: الأطباء والمهندسـين ورجـال الأعمـال، وأيضًـا مئات الآلاف مـن العمال الذين أصبحـوا مهددين بالطرد.

أندريـه فيرسـاى: بدت المواقـف الإسـرائيلية والمصرية متباعـدة إلى حد أنـه فى نهاية شـهر يولية عام ١٩٧٨م، أبلـغ السـادات كارتـر أن مواصلة الحوار مع الإسـرائيليين بدا له بلا فائدة.

ولكـن خوفًا من أن تفشـل المفاوضات، قام الرئيس الأمريكـى بمحاولة أخيرة. ما الذى جعل كارتر يخاطر بتوريط نفسـه فى تلك المفاوضات التى بدا مصيرها الفشـل (كتب كارتر فيمـا بعـد يقـول: «*لم يعتقـد أى منا أن هنـاك فرصة للنجـاح*») وهو احتمال يمكـن أن يضر بمكانته؟

بطرس بطرس غالى: لقد كان هذا الصراع يسـكن فعليا داخل كارتر، حتى إنه قام بوضع خريطـة للمنطقة على الجدار فى حجرة نومه. بالنسـبة لهـذا التقى، هذه القضية قد تكون لها أبعاد دينية. على كل حال، لقد كرس نفسه لها بكل إصرار وانفعال.

أندريه فيرسـاى: ربما استشـعر أيضا، أن الجانبين، وبرغم المواقف المعلنة، كانا يأملان فى تحقيق سـلام منفصـل، ولو *الحد الأدنى* منه، أى سـلام إسـرائيلى ـ مصرى مقابل عودة سـيناء. سـيكون هذا هو الحد الأدنى من السـلام، وهو على الرغم من شىء أيضًا يعد خطوة مهمة، بل سابقة مثالية يمكن للدول العربية المتنازعة الأخرى أن تحذو حذوها على فترات زمنية مناسـبة طالت أم قصرت. مهما كان الأمـر، قرر الرئيس الأمريكى أن يجمع فى كامب ديفيد، بالقرب من واشـنطن، قمة ثلاثية: السـادات وبيجين وهو، ومع كل منهم مستشـاريه المقربين.

بطـرس بطرس غالـى: أثارت مبادرتـه اهتمامنا حيث إن السـادات أراد دائما المشـاركة الفعالـة للدبلوماسـية الأمريكية فى عملية السـلام. لذا فإن دعوة كارتر لعقـد قمة فى كامب ديفيد اعتبرت بمثابة تتويج للجهود المصرية.

أندريه فيرسـاى: كيف كانت الحالة الذهنية للوفد المصرى عشية مغادرته البلاد متوجها إلى كامب ديفيد؟

بطـرس بطـرس غالى: كنـا فى هذه اللحظة عنـد مفترق الطرق. السـادات، الذى أراد أن يشـهد مبادرته وقد أدت إلى حل شـامل للمشكلة العربية ـ الإسرائيلية، كان واثقا من نفسه؛

فإن رفضت إسرائيل خطته للسلام، سيتحول الرأى العام الأمريكى والعالمى ضد الدولة اليهودية، ومصر ستكسب مساندته. ففى الحقيقة، السادات هو الذى اتخذ الخطوة الأولى بذهابه إلى القدس، والإسرائيليون هم الذين لم يتمكنوا من الصعود إلى قطار التاريخ. هل شك السادات فى أى وقت، فى مبادرته؟ لا أعرف. وعلى أية حال، لم يظهر أبدا أى شىء من ذلك حتى لأقرب معاونيه.

أما بالنسبة لنا، أعضاء وفده، الذين كنا لا نزال نعتبر السلام المنفصل مسألة لا يمكن تصورها، فقد كنا نشعر بشىء من القلق، لأننا لم نر إمكانية للتراجع فى حالة فشل المفاوضات. وهذا الفشل كان يبدو لنا ممكنا، بنفس القدر الذى كان المعسكر الذى فى مواجهتنا، الإسرائيليون، لا يؤمن برغبة السادات فى السلام، كما ألمح لى كثيرا موشيه دايان. لهذا السبب كان أملنا كبيرا فى الحصول على تأييد بعض الدول العربية، خاصة المغرب والأردن اللذين كانا لهما بالفعل اتصالات سرية مع إسرائيل.

أندريه فيرساى: ماذا كان تعليق الرأى العام العربى، حتى هذه اللحظة؟

بطرس بطرس غالى: بكل الحماس، ساندت الصحافة المصرية السادات. ولكن المعارضة المصرية، سواء من الأصوليين أو اليساريين، فهؤلاء لم يتخلوا عن موقفهم: هذه المفاوضات خطأ، وذهبوا إلى حد الأمل فى تغيير النظام. أما بالنسبة للصحافة فى العالم العربى، فقد واصلت تنديدها المتشدد لهذه المرحلة الجديدة من «*الخيانة المصرية*».

أندريه فيرساى: وفى إسرائيل؟

شيمون بيريز: فى إسرائيل، فى يوم ٢ سبتمبر، عشية مغادرة بيجين متوجها إلى كامب ديفيد، نظمت حركة «السلام الآن» مظاهرة فى تل أبيب اشترك فيها أكثر من مائة ألف شخص، كان الهدف منها دفع رئيس الوزراء إلى تقديم التنازلات الضرورية من أجل التوصل إلى اتفاقية سلام مع مصر.

فى البرلمان، كان الانقسام بين اليسار واليمين واضحًا تمامًا: اليمين رفض أن يقدم بيجين تنازلات، بينما شجع اليسار بشكل عام رئيس الوزراء على انتهاج سياسة أكثر انفتاحا.

أندريه فيرساى: وصل الوفدان إلى كامب ديفيد. على الجانب الإسرائيلى، جاء مناحم بيجين، يرافقه موشيه دايان وزير الخارجية، وعيزرا وايزمان وزير الدفاع، وأهارون باراك المدعى العام الإسرائيلى. من الجانب المصرى، جاء السادات مع مستشاره حسن التهامى، ومحمد كامل وزير الخارجية، وأسامة الباز نائب وزير الخارجية، وأنت بطرس بطرس غالى

وزير الدولة للشئون الخارجية. أما بالنسبة للرئيس كارتر، فكان معه سيروس فانس وزير خارجيته، وزبيجنيو بريجينسكى مستشاره لشئون الأمن القومى، وهارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية، كيف مرت الأمور فى يوم الوصول؟

بطرس بطرس غالى: وصلنا بالطائرات المروحية من واشنطن واكتشفنا كامب ديفيد، حيث تناثرت أكواخ فردية مريحة للغاية فى كل مكان فى الغابة. يجب أن أقول إن هذا المكان بدا لى غير مألوف لإجراء مفاوضات دبلوماسية؛ ولكنها كانت فكرة كارتر أن يعزلنا فى هذا المكان الذى يشبه معسكر اعتقالات، فقد منعت عنه الصحافة، ولم يكن هناك إمكانية إجراء أية اتصالات مع العالم الخارجى.

شيمون بيريز: هذا حقيقى، فباستثناء رئيس الوفد الذى كان يحق له استخدام الهاتف، لم يستطع المفاوضون الخروج أو الاتصال بالهاتف أو لقاء الإعلام. أذكر أننى تحدثت مع الرئيس الأمريكى بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد وقلت له: «*سيدى الرئيس، تزعم أنك تدافع عن حقوق الإنسان، ولكنك كنت رئيس الدولة الوحيد الذى لم يتردد فى أن يحرم المفاوضين من حريتهم ويحبسهم فى معسكر اعتقال!*».

بغض النظر عن الجانب الطريف، أعتقد أن كارتر كان على حق عندما خلق وضع جلسة سرية، وفرض العزلة والسرية، وذلك لكى يمنع الصحافة من التدخل فى الأمر مما قد يؤدى إلى إفشال المفاوضات.

بطرس بطرس غالى: بلا شك، ولكن ذلك لا يمنع أنها كانت طريقة غريبة لإقامة مؤتمر.

يجب التنويه إلى أن كل شىء فى كامب ديفيد كان غير معتاد. فى داخل المنطقة، كنا أحرارا، نتحرك فى مناخ من الاستجمام التام، جعل من الممكن أن نتقابل بالصدفة ونحن بملابس النوم أو فى أثناء ممارسة رياضة الركض، أو على الدراجة، إلخ. أما بالنسبة للمفاوضات نفسها، فبالإضافة إلى أن المسافات التى تبعد الأكواخ عن بعضها لا تسهل الاتصالات، كان من مظاهر اللقاء الفوضى التامة فى تنظيم الاجتماعات. فلم نكن إطلاقًا فى وضع مفاوضات تقليدية، حيث تجرى سلسلة من الجلسات اليومية محددة فى ساعتين صباحا وثلاث ساعات بعد الظهر، يتم بعدها تقديم تقرير محاضر الجلسات؛ لا، كان السائد هو الفوضى مع الاستجمام.. كل ذلك خلق مناخا خاصا بعض الشىء، بدا غريبا لهؤلاء الذين تعودوا على التفاوض حول مائدة مع تدوين النقاط.

أندريه فيرساى: كيف كانت العلاقات بين أعضاء الوفود الثلاثة؟

بطرس بطرس غالى: بالنسبة لى شخصيا، كانت العلاقات ممتازة. باستثناء محمد كامل الذى أصابه إحباط تام وكان يرفض مقابلة أحد، كنا نتريض معا، ونذهب إلى حمام السباحة معـا، وكنـا أحيانا نذهب لنشـاهد فيلما معا. كان مناخًا يشـبه إلى حد مـا الرحلات البحرية. كانت سفينة كامب ديفيد تفرض علينا أن نتعايش.

كنا نحن أيضًا، أعضاء الوفد المصرى، نتبادل الآراء فيما بيننا، ولكن ذلك ظل هامشـيا. لـم يكـن السـادات يبلغنـا دائمـا بالمباحثـات الخاصة التـى كان يجريهـا مع كارتـر، أو مع سـايروس فانس أو مع بريجينسـكى. من جهةأخرى كان واضحًا، أن اللقاءات التى كنا نقوم بهـا مع الوفد الإسـرائيلى لم يكـن لها تأثير كبير على الاتفاق النهائـى، حيث إن هذا الاتفاق قام بصياغته ثلاثة أشـخاص: جيمى كارتر وأسـامة الباز وأهارون باراك، قبل تقديم الاتفاق إلى أعضاء الوفدين.

كان وايزمان هو المفاوض الإسـرائيلى الذى شعرت أننى قريب منه أكثر من أى شخص آخر. وبعكس دايان، الذى كان يستطيع أحيانا أن يكون فجا، كان وايزمان يبدو دائما ذا طبيعة مسالمة. كان هو الذى يستطيع، عندما يتوتر المناخ، إعادة جو المودة بين الخصوم. وعندما لا يستطيع أحد أعضاء وفدنا التفاهم مع عضو من الوفد الإسرائيلى، كان وايزمان يذهب إليه ويقول له: «*هيا بنا، تعال. نحتسى كأسًا من الويسكى ونتحدث عن كل شىء بهدوء..*» حتى وإن بدأنا بالرفض، فإن سحره يطغى وفى النهاية نستسلم دائما. على عكس دايان، الذى كان متشائما فى أعماقه، ظل وايزمان متفائلاً دائمًا، وكان يهتم بإعطاء أهمية لأى تقدم مهما كان بسـيطًا، ويؤكد للجميع على وجود مخرج سـعيد فى نهاية المفاوضات. كان وايزمان يلعب هـذا الـدور التصالحى طوال فترة القمـة، يعمل بصبر وروح دعابة كبيـرة، على التقريب بين أعضاء الوفدين.

شـيمون بيريز: تصور وايزمان أن سـحره الشـخصى يسـتطيع المسـاهمة بشـكل حاسم فـى هذه المفاوضات. وكان معتقدا أن السـادات، الذى كان يناديـه عيزرا، يحبه أكثر من أى شخص آخر فى العالم.

بطـرس بطـرس غالى: هنـاك الكثير من الحقيقة فـى ذلك: كان يحلو للسـادات أن يقول دائمًا: «*وايزمان هو الإسـرائيلى الوحيد الذى أسـتطيع التعامل معه*». وأتذكر فى مرة ثانية أنه قال: «*لا يمكن أن يكون وايزمان يهوديًّا، إنه أخى الأصغر!*».

شـيمون بيريـز: وايزمان كان مقتنعًا أنـه فى حالة حدوث أزمة بيـن الوفدين، فهو الوحيد الـذى يمكنه تهدئة اللعب. كان رجلا يتميز بمرونة كبيرة، ولكنه كان أيضًا أكثر أعضاء الوفد انتماء إلى اليسار، وأكثرهم استعدادًا لأن يذهب إلى أبعد نقطة من أجل إرضاء العرب. كان فى ذلك مختلفا عن دايان الذى كان أكثر حذرًا، وعن بيجين الذى كان أقل استعدادًا لتقديم تنازلات.

بالإضافـة إلى ذلـك، كانت العلاقات بين وايزمـان وكارتر ممتـازة. كان كل منهما يقدر الآخـر ويكـن له صداقـة حقيقية. نعـم، أنت علـى حـق، كان وايزمان لديه حـس العلاقات الإنسانية.

بطرس بطرس غالى: على أى حال أكثر من موشيه دايان!

شيمون بيريز: موشيه دايان، هذا وضع آخر. بالنسبة له، العلاقات الإنسانية ما هى إلا جزء من كل كبير. وأتذكر جيدًا، (فى الخمسينيات) فى أحد الأيام قال بن جوريون لدايان، إذ كان يعتبـره غريب الأطوار، إن عليه، بصفته زعيمًا عسـكريّا، أن يكون مثلاً يحتذى به الآخرون. فأجابه دايان: «*لا يا سـيدى، لا أسـتطيع أن أتصرف بناء على صـورة يتوقعها منى الآخرون. إننى أتصرف حسب شخصيتى أنا*». نعم كان موشيه دايان يعطى نفسه الحق فى أن يصبح كل يوم بشخصية جديدة. كان سحره الواضح هو نتيجة نزعته الفردية. كانت الصحافة مفتونة به: نجم مبتسـم، صورته على غلاف العديد من المجلات، وليس فقط فى إسـرائيل. تصريحاته فى الإذاعات وعلى شاشات التليفزيون تجذب أعدادا من المشاهدين والمستمعين لا يمكن تخيلها. فى فترة ما، كان أكثر شـخصية عسـكرية وسياسية شهرة وشعبية فى الكون. أذكر فى إحدى رحلاتى، وخلال مرورى فى سـان فرانسيسكو، رأيت فى واجهة أحد المتاجر صورًا كبيرة لماو وتشى جيفارا، ومعهم دايان! ومن ناحية أخرى، وبشكل أكثر جنونًا: شاهدت فى جنوب إفريقيا بعد حملة السـويس، تحويرًا لدعاية عن شركة البترول «إسو». ولكن بدلاً من الشعار الشهير: «*ضع نمرًا فى المحرك*»، قال الإعلان: «*ضع دايان فى المحرك*»!

من بين الصفات التى تصنع سحره، صراحته المحيرة. سأقص عليكم قصة طريفة تصفه بشـكل كامـل: وقعت هذه الأحداث قبـل حرب الأيام السـتة بقليل. فى هذه الفتـرة كنا، أنا وهو، أعضاء فى حزب رافى الذى يرأسـه بن جوريون، وهو الحزب الذى كما قلت من قبل انشق عن ماباى. وكان هناك احتمال أن يعود مرة أخرى لينضم إلى ماباى. وفى أثناء إحدى مناقشاتنا، قال لى دايان: «*اسمع، شيمون، يجب أن نأخذ قرارًا: إن كنت ترى أنه من الأفضل أن يحتفظ الحزب باسـتقلاله، سأبقى معك. وإن رأيت العكس، وإنه من الأفضل على رافى*

الانضمام إلى حزب العمل، فأتعهد بأن أتبعك». ثم أضاف قائلا بابتسامة: «*ولكن تذكر: أنا لست رجلاً يمكن الثقة فيه ..*». كان فى هذه الدعابة خليط من صفاء الذهن والحرية التى تجعل منه شخصية ليس لها مثيل، والتى أحببتها كثيرا.

بطرس بطرس غالى: عنى شخصيّا، لم أنظر إلى موشيه دايان بتلك الطريقة. كنت أراه رجلا متعجرفا، ولكنى لا أعرف بالضبط إن كانت تلك العجرفة بسبب الخجل أم بسبب شعور بالتفوق.

شيمون بيريز: هناك تناقض بين الطريقة التى يمكن أن ترى بها دايان، وحقيقة شخصيته.

أنت تتحدث عن «عجرفته». ولكنك مثل معظم الأشخاص، لا تعرف أن دايان أصيب بضرر كبير جعله يعانى معاناة بشعة. الجرح الذى أضاع عينه كان يسبب له صداعا عنيفا. وبعد حرب الغفران، اقترن الألم الجسدى بالمعاناة النفسية بسبب إحساسه بالذنب لأنه لم ير الخطر قادمًا. وذلك ما يفسر هذه التشنجات، سواء كانت خافية أو ظاهرة، والتى قد تعطيه هذا المظهر المتعجرف الذى تلومه عليه.

بطرس بطرس غالى: نعم، ربما. أود أن أحدد فورًا أنه رغم الانتقادات التى قلتها، يجب علىّ أن أعترف بأن دايان كان هو العقل المفكر فى الوفد؛ ففى كل مرة كنا نجد أنفسنا فى طريق مسدود، كان يخرج إلينا بالحل، حيلة جديدة لكى نعاود المفاوضات. ولقد أسر لىّ أنه رغم علاقته الوثيقة برئيس وزرائه، إلا أنه لم يتفق معه فى الرأى حول عدد غير قليل من المسائل الخاصة بعملية السلام.

شيمون بيريز: لقد أراد دايان التوصل إلى اتفاق سلام مع مصر، ولكنه كان يعرف أنه إذا اتخذ خطوة واحدة خطأ، فإنه يخاطر بأن يفقد كل الثقة التى كان يوليها له بيجين. لأنه، فى الواقع لم يكن علينا إقناع السادات فقط بتحقيق تسوية، ولكن أيضا بيجين. وفى واقع الأمر، لقد تطور بيجين كثيرًا فى مواقفه، وذلك بفضل موشيه دايان بشكل خاص. ومن ناحية أخرى، لم يقدّر دايان موقف الأمريكيين كثيرا. إذ رأى أنهم لم يفهموا طريقة الإسرائيليين كما لم يفهموا طريقة المصريين. كل تلك التناقضات جعلته يتمسك بموقف صعب.

بطرس بطرس غالى: فى هذا الإطار، وايزمان ودايان، اللذان رأيتهما فى بادئ الأمر كقطبين سياسيين متعارضين، كانا فى الحقيقة متضامنين جدا. كان الاختلاف بينهما يكمن أساسا فى الطباع.

أندريه فيرساى: وبيجين؟ كان كارتر فى *مذكراته*، يرى رئيس الوزراء الإسرائيلى كشخص «*يبدو أنه يعتبر نفسه رجل المصير، مكلفًا بمهمة مقدسة، وهى أن يأخذ على عاتقه مسئولية مستقبل شعب الله المختار*».

بطرس بطرس غالى: لنقل إن بيجين كان يبدى جمودًا حتى فى أبسط حركاته أو كلماته. كان لديه أيضا جانب نطلق عليه تعبير «بولندا القديمة»: فهو مهذب جدًّا، بل فارس، يحترم الآخرين، استعراضىٌّ فى بعض الأحيان ويمارس طوعيا تقبيل الأيادى. من الواضح أنه كان يريد أن يكسب الإعجاب.

لاحظ بيجين أن السادات كان ينادينى أحيانا بطرس وأحيانا أخرى بيتر (بطرس هو الاسم العربى لبيتر الحوارى). وحينما علم أن السادات ينادينى ببيتر عندما يكون راضيا عنى، وبطرس حينما لا يكون، وجد ذلك طريفًا، وقرر أن يستخدم هو أيضًا هذين الاسمين، ولكن بالعكس: بيتر عندما يغضب منى، أى حينما يجدنى أضع عائقًا أمام دبلوماسيته (اسم بيتر جاء من اللاتينية بتروس والتى تعنى «حجر») وينادينى بطرس عندما يرى أننى كنت مسالمًا. هذه الطريقة لاستعارة أسلوب السادات فى التعامل معى أسعدت كثيرًا الريس. لذلك قام بيجين فى كامب ديفيد باستخدام هذه الطرفة بإفراط. وتحولت إلى شىء ثقيل، ولكنها كانت طريقته فى خلق نوع من التقارب مع السادات.

شيمون بيريز: فى رأيى، كان بيجين يملك صفات كثيرة جميلة، ولكنه كان يجد صعوبة فى مواجهة الحقيقة. كان يملك موهبة الكلمة وعاش فى عالم الكلمات. وعلى غرار راقصى الباليه الذين يعتبرون سيقانهم هى أهم جزء فى جسدهم، حيث إنها هى التى تسمح لهم بممارسة هذا الفن، كان بيجين يرى السياسة من خلال البلاغة. أنت لا تتخيل الاهتمام والعناية التى كان يوليها للكلمة وللمعانى والتفسيرات. خلال سنوات نضاله ضد البريطانيين، قضى وقتًا طويلاً جدًّا فى الاستماع إلى الحوارات التى كانت تدور فى البرلمان الإنجليزى. كان يعتبر التقاليد البرلمانية البريطانية هى النموذج الذى يتمنى أن تحتذيه إسرائيل.

الفروق بين بيجين ودايان كانت بيننا؛ عندما جاء دايان إلى مصر، نظر إلى النيل والنخيل وكل تلك الطبيعة التى كان يحبها؛ وبجانبه وقف بيجين ينظر إلى مصر عبر قراءاته للتوراة.

بطرس بطرس غالى: تقول إنه كان خطيبًا موهوبًا جدًّا. هذا حقيقى، ولكن ذلك أعطاه نوعًا من «التشويه المهنى»: حتى لو تحدث معك وحدك، كان يعطى الانطباع بأنه يلقى خطابًا.

أندريه فيرساى: وماذا عن الوفد الأمريكى؟

بطرس بطرس غالى: فى داخل وفدهم، كان كل شخص يتعامل معنا وكأنه الرجل الأكثر قدرة على دفع الأمور إلى الأمام. ولكن لأن المفاوضات كانت تتخذ كثيرًا شكل «الترقيع»، فكان من الصعب تحديد استحقاقات كل واحد منهم فى تقدم العملية.

أندريه فيرساى: يبدو أن الأيام الأولى مرت بصعوبة؛ فقد بدا أن أيّا من الجانبين لم يكن يريد تقديم تنازلات.

بطرس بطرس غالى: نعم هذا حقيقى. رفض الوفد الإسرائيلى اعتبار القضية الفلسطينية قضية سياسية، مفضلاً التعامل معها فقط من وجهة النظر الإنسانية، وتقليصها بالتالى، لتصبح مجرد تفصيلات عملية للإدارة المحلية. عمى البصيرة هذا إزاء الواقع الفلسطينى بدا لنا مثيرًا للدهشة، فقد كان يماثل تماما موقف العرب الذى أنكر وجود الدولة الإسرائيلية خلال كل تلك السنوات، والذى أثار بشدة غضب الإسرائيليين واليهود فى العالم أجمع.

ولكن الاختلافات بين الوفدين لم تختزل فقط فى المسألة الفلسطينية. بل كان هناك تعارض كبير فى طريقة تعاملنا مع المشكلات، حتى تلك الخاصة بالمسار الإسرائيلى- المصرى. كان الإسرائيليون يريدون التوصل فى البداية إلى اتفاق حول المسائل العملية والتجارية والدبلوماسية والسياحية، إلخ.، قبل التفكير فى أى انسحاب من سيناء. ولكن بالطبع، لم يكن ممكنا بالنسبة لنا مناقشة تطبيع العلاقات بين بلدينا قبل الاتفاق على إنهاء احتلال سيناء.

وبسرعة، بدأ يسود مناخ ثقيل، يوما بعد يوم، وفى النهاية تحول إلى شعور بفوبيا الحصار. وصاح بيجين: «*لقد بدأنا نشعر وكأننا فى معسكر اعتقال!*»... ذلك فضلاً عن أن عدم التنظيم والتداخل فى الاجتماعات، جعل من الصعب ملاحظة أية تقدم.

فيما يخصنى، قدرت أنه من الضرورى ربط الانسحاب من سيناء مع الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى يمكننا التوصل إلى حل شامل. من أجل أن يتم ذلك، كان على السادات أن يطالب بالربط بين الانسحاب من الأراضى المصرية والفلسطينية.

ومع توالى المناقشات، استطعت تحديد النقاط التى تميز خصومنا، فقد كانوا يملكون فى أيديهم كل أوراق اللعب، وكانوا يتقدمون بناء على مشروع متجانس.

أندريه فيرساى: فى لحظة ما، بدت مواقف الوفدين بعيدة جدا الواحدة عن الأخرى، إلى حد أن السادات، الذى لم يعد يرى أهمية فى الاستمرار فى المفاوضات، أعلن مغادرة وفده.

بطرس بطرس غالى: كان واضحًا أنه غاضب جدا، ولكنى لا أعلم إن كان قد قرر حقا مغادرة كامب ديفيد أو إنها كانت وسيلة منه لإثارة كارتر لكى يدفع الإسرائيليين إلى اتخاذ طريق أكثر تعقلا. قدم محمد كامل استقالته من منصب وزير الخارجية، ولكنه أكد للسادات أنها لن تكون سارية المفعول إلا عندما يقرر الريس. هذه «الاستقالة» ستسمح للسادات بأن يدفع كارتر إلى التدخل: «*أنت ترى جيدًا أن التشدد الإسرائيلى قد أحبط أعضاء وفدى*».

ولكن كارتر نجح فى إقناع السادات بألا يغادر كامب ديفيد. لا أعرف بالضبط الحجج التى استخدمها، ولكن أعتقد أن الرئيس الأمريكى تعهد بأن يساعد السادات بعد إعادة انتخابه. «*قبولك حل الوسط هذا سيساعد إعادة انتخابى، وأتعهد لك، بعد إعادة انتخابى، أن أعمل معك من أجل تسوية كل المشاكل المعلقة..*» بدا أيضا أن الدبلوماسية الأمريكية كانت مقتنعة بأن نجاح بداية عملية السلام الحقيقية، سوف يجعل من السهل الحصول على تأييد العديد من الدول العربية مثل: الأردن والسعودية والمغرب.

أندريه فيرساى: فى النهاية بقى السادات، ولكن كارتر فهم أنها الفرصة الأخيرة، وأن الساعة حانت من أجل التوصل إلى حل وسط حاسم. فقرر ألا يجمع بعد ذلك معا رئيسا الدولة، ولكن أن يقوم بنفسه بدور «الوسيط» بينهما. كيف مرت هذه الأيام العشرة الأخيرة من المفاوضات التى لعب فيها كارتر دور الوسيط؟

بطرس بطرس غالى: لم تكن الأمور بهذا الوضوح. فقد كانت أكثر فوضى لأن سيروس فانس وبريجينسكى واصلا فى نفس الوقت المباحثات مع كل وفد على حدة من أجل الحصول على موافقتهما حول بعض جوانب الإعلان المبدئى وإبلاغ الرئيس كارتر الذى كان من جانبه، يقوم بالتفاوض مع رئيسى الوفدين.

أندريه فيرساى: فى أثناء المفاوضات قال أهارون باراك لبريجينسكى: «*العديد من المواقف الإسرائيلية لا تقدم أية مميزات، ولكنها تنبع من أسباب نفسية فقط*».

شيمون بيريز: ٩٠ ٪ من المشاكل التى تطرح فى أى صراع تنبع من عوامل نفسية. ومما يزيد من أهمية الجانب النفسى هو أننا نتفاوض فى أحيان كثيرة تبعا لرؤية عامة للمعسكر الذى نتبعه أكثر مما نتفاوض على أساس الواقع. وكل جانب له أولوياته ومحرماته وعناصره

المقدسة، وطريقته فى رؤية الأمور، وعقليته... بالإضافة إلى أننا نجهل الدوافع الحقيقية التى تحرك المعسكر الآخر، وما هى الأشياء التى تهمه بالفعل، والأشياء التى يستخدمها كخدعة أو عنصر مساومة. وبسرعة تستقر الشكوك؛ فى المفاوضات السياسية يسود دائما الشك، هذا المرض الذى يصيب السياسيين.

بطرس بطرس غالى: هذا حقيقى، وإن أردنا أن نتقدم، فيجب أن تستقر الثقة تدريجيا. كان كل مفاوض يريد إصلاح الأمور، ولكن فى أحيان كثيرة لم يكن ذلك لأن وراءها منفعة واقعية، ولكن بالأحرى بهدف إرضاء الحالة الذهنية للرأى العام فى بلده. وهكذا، قد تطلب منى أن أغير جملة على سبيل المثال، بدون أن أعرف السبب الذى دفعك لهذا الطلب. لهذا سوف أفسر رغباتك بطرق مختلفة. ولكن من ناحية أخرى، إن توصلت إلى خلق مناخ من الثقة، سوف تشرح لى بصراحة لماذا هذه الفقرة غير مقبولة بالنسبة للرأى العام لديك. وهذا التفسير، أستطيع أن أفهمه وأن أفكر معك فى إعادة صياغته ليصبح مقبولا أكثر. لا أزعم بالتأكيد، أن وجود مناخ من الثقة يسمح بحل جميع المشاكل، ولكنه بالتأكيد سيقلل كثيرا العوائق النفسية. إن معرفة دوافع الآخر يسهل عملية المفاوضات. وهكذا، فأنا مقتنع بأن الثقة التى سادت بين أسامة الباز وأهارون باراك كانت مهمة من أجل التوصل إلى اتفاق.

أندريه فيرساى: بشكل عام، هل كان لديك الانطباع بأن الثقة بدأت تسود فى كامب ديفيد؟

بطرس بطرس غالى: كانت الثقة تسود فى المباحثات الثنائية. ولكن فى اللحظة التى ينضم فيها كل منا إلى وفده، لا نستطيع السماح لأنفسنا أن نظل بهذا الانفتاح. إننى أذكر نقاشا أجريته مع وايزمان فى لقاء ثنائى، وكنا نتحدث بحرية تامة وساد اللقاء مناخ من الثقة سمح لنا بأن نلغى الأقنعة وأن نناقش بصراحة كل قضايا الخلاف، ومنها قضية الأمن الإسرائيلى المحاطة بهالة من التقديس. ولقد أبرزت لوايزمان أن هذا الهاجس بات مبالغا فيه، نظرا للتفاوت الكبير بين القوى الموجودة، وقلت له: «*ولكن فى النهاية، لقد انتصرتم فى حرب السويس وحرب الأيام الستة بدون أن تكون لديكم الضفة الغربية ولا غزة التى تكرر دائما أهميتها لأمنكم*». وفى النهاية أقر وايزمان أن الإجراءات الوقائية التى تتخذها إسرائيل فى المسألة الأمنية كانت مبالغة فيها. كما شرحت له أيضا أهمية الروابط الاقتصادية والإستراتيجية والسياسية والثقافية التى تربط مصر بالعالم العربى، وأبرزت له أننا لو لم نتوصل إلى تسوية للقضية الوطنية الفلسطينية، فإن مصر ستجد نفسها فى عزلة تامة عن جيرانها، وأن ذلك قد يؤدى إلى إضعاف النظام، وهو ما من شأنه أن يجعل السلام الذى